﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: 45 - 46]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قبلَهُما:

وقايةُ الله لأهل الحقِّ وعقاب أهل الباطل

لمّا نصح مؤمن آل فرعون قومَهُ فيما سبق، واجتهد في نصْحهم، ولكنَّهم آذوه، ولم يقبلوا نُصْحه، والتجأ إلى الله؛ ليحفظه منهم بقوله: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ جاءت هاتان الآيتان؛ لبيان وقاية الله له وحِفظه منهم، بما له سبحانه من الجلال والعظمة؛ جزاءً على تفويض أمره لربِّه[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَحَاقَ﴾: (حيق) أصلٌ يدلُّ على نزولِ الشَّيءِ بالشَّيءِ[2]، ومِن ذلكَ يقالُ: حاقَ بهِ كذا، أي: نزلَ بهِ، وأصابَهُ[3]، وحلَّ بهِ[4]، والمرادُ بـ ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ﴾ هنا: نزلَ بهِم، وأحاطَ بهِم[5].

2) ﴿يُعْرَضُونَ﴾: (عرض) أصلٌ يدلُّ على خلافِ الطّولِ[6]، وأصله أن يقال في الأجسام، ثم يُستعمل في غيرها، ويُطلق على اتِّساعِ ما يواجهُ النّاظرَ مِنَ الشَّيءِ الكثيفِ[7]، ومِن ذلكَ يقالُ: أعرضَ الشَّيءُ، أي: بدا عَرْضُهُ، وعَرَضْتُ الشَّيءَ على البيعِ وعلى فلانٍ، أي: أظهرتُهُ لهُ، وأبرزتُهُ إليهِ، كأنّي في ذاكَ قد أريتُهُ عَرْضَهُ[8]، ويُستعمَلُ في

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 80.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حيق)
(3) الراغب، المفردات: (حيق).
(4) السمين، عمدة الحفاظ: (حيق).
(5) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 562، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 157.
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عرض).
(7) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (عرض).
(8) الراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (عرض).

إظهارِ شيءٍ لِمَن يراهُ لترغيبٍ أو لتحذيرٍ، ومعنى عرضِهم على النّار: أنَّ أرواحَهم تشاهد المواضعَ الَّتي أُعِدَّت لها في جهنَّمَ[1].

3) ﴿غُدُوًّا﴾: (غدو) أصلٌ يدلُّ على زمانٍ[2]، والغَدْوةُ والغَداة والغُدوُّ بمعنًى، وهو مِن أوَّلِ النَّهارِ إلى الزَّوالِ[3]، ويقابل بالعشيِّ وبالآصال، قال تعالى: ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ [الأنعام: 52]، وقال تعالى: ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ [الأعراف: 205].

4) ﴿وَعَشِيًّا﴾: (عشو) أصلٌ يدلُّ على ظلامٍ وقلَّةٍ وضوحٍ في الشَّيءِ[4]، والعَشيُّ مِن زوالِ الشَّمسِ إلى الصَّباحِ[5]، والعشاء: من صلاة المغرب إلى العتمة، والعشاءان المغرب والعتمة.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

نـجـاةُ المُـحِـقِّ وهلاكُ المُبْطِلِ

يُخبِرُ اللّهُ تعالى عن حمايتِهِ للمؤمنِ، وإنزالِ العذابِ بآلِ فرعونَ، فيقولُ: فدفعَ اللّهُ عن هذا المؤمنِ مِن آلِ فرعونَ ما كانَ يريدُ آلُ فرعونَ أن يوقِعوهُ بهِ مِنَ العذابِ والبلاءِ، فنجّاهُ منهُ، وحلَّ بأتباعِ فرعونَ ما فيهِ خِزْيُهم مِن عذابِ اللّهِ، وهو الغرقُ في الدُّنيا، ثمَّ بيَّن عذابَهم في البرزخِ بعرضهم على النّارِ في الغُدوِّ والعَشيِّ، ويومَ القيامةِ يُدخَلونَ نارَ جهنَّمَ الَّتي أُعِدَّت للكافرينَ[6].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ التَّعبير بالفاء في ﴿فَوَقَىٰهُ﴾:

كمالُ التَّفويضِ لـلـه وصِـدق الـتَّـوكُّـل سببُ الحفظِ والوقايةِ

الفاء في قولِهِ تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾ فصيحة؛ لأنَّها أفصحت عن كلامٍ محذوفٍ يدلُّ عليهِ السّياقُ، وذلكَ أنَّهُ لمّا

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 158.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (غدو).
(3) الراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (غدو).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عشو).
(5) الراغب، المفردات: (عشو).
(6) ابن جرير، جامع البيان: 21/ 395، والمراغي، تفسير المراغي: 24/ 77.

صرَّحَ المؤمنُ بتقريرِ الحقِّ؛ قصدوهُ بأنواعِ السّوءِ، ومكروا بهِ[1]، والَّذي يدلُّ على ذلكَ الإشارةُ الَّتي في قولِهِ سبحانَهُ: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾[2]، والتَّقديرُ: لمّا توعَّدوهُ بالأذى والقتلِ، وقصدوهُ بهما؛ هربَ منهُم، فلم يَقْدِروا عليهِ، فوقاهُ اللّهُ[3]، وهذا ضربٌ بليغٌ مِنَ الإيجازِ.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالوِقايةِ:

المؤمنُ مُحاطٌ بعنايةِ اللهِ

اختيرَ لفظُ الوِقايةِ في قولِهِ تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ﴾؛ لدلالتِهِ على أنَّ المؤمنَ قد صارَ مُحاطًا بهذهِ الوِقايةِ والحمايةِ، وحالَتْ بينَهُ وبينَ ما أرادوا بهِ مِنَ الكيدِ والمكرِ والأذى[4]، وفي ذلكَ ما لا يخفَى مِنَ التَّنويهِ بشأنِ الإيمانِ وأهلِهِ.

نكتةُ التَّعبيرِ بالماضي في ﴿فَوَقَىٰهُ﴾:

عنايةُ اللهِ بالدُّعاةِ إليهِ مُتحقِّقةٌ

عُبِّرَ بصيغةِ الماضي في قولِهِ تعالى شأنُهُ: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّ هذهِ الوِقايةَ قد تحقَّقَتْ، ومضَتْ، كما هو شأنُ الأحداثِ الماضيةِ، وفيها تقويةٌ لعزائمِ الدُّعاةِ إلى اللّهِ ﷻ بأنَّ اللّهَ يُنجي عبادَهُ المؤمنينَ المتوكِّلينَ عليهِ.

نكتةُ إظهارِ اسمِ الجلالةِ:

الألوهيَّةُ الحقيقيَّةُ تملكُ الوقايةَ لأهلِ الإيمانِ

جيءَ باسمِ الجلالةِ في قولِهِ تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ﴾؛ لدلالةِ هذا الاسمِ على جميعِ صفاتِ الكمالِ، ومنها القدرةُ الَّتي بها يردُّ كيدَ الكائدينَ، والمعنى: جعلَ لهُ سبحانَهُ وِقايةً تُجِنُّهُ منهُم بما لَهُ سبحانَهُ مِنَ الجلالِ والعظمةِ والكمالِ؛ جزاءً على تفويضِهِ الأمرَ إليهِ[5].

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 521، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 157.
(2) أبو موسى، آل حم، ص: 166.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 8/ 493.
(4) أبو موسى، آل حم، ص: 167.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 80.

وفيه توبيخٌ لفرعون على ادِّعائه الألوهيَّة؛ لأنَّه لا يملك وقاية لنفسه ولا لغيره.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالسَّيِّئاتِ:

يسلك المشركون كلَّ قبيح للصَّدِّ عن سبيل الله تعالى

عُبِّرَ بالسَّيِّئاتِ في قولِهِ سبحانَهُ: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾؛ للتَّنبيهِ على شنيع صنيعهم ومكرهم به؛ لأنَّ السَّيِّئَةَ في الأصلِ: الفَعْلَةُ القبيحةُ[1]، والسّوءُ: كلُّ ما يغمُّ الإنسانَ مِنَ الأمورِ الأُخرويَّةِ والدُّنيويَّةِ[2]، وهذا ماسلكه قوم فرعون مع الرَّجل المؤمن، فجاء التَّعبير بالسَّيِّئات مطابقًا لسلوكهم.

نكتةُ جمعِ السَّيِّئاتِ مع إفراد المكر:

كثرةُ أذى المشركين ومكرِهم

جيءَ بصيغةِ الجمعِ في قولِهِ تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾؛ للتَّنبيهِ على تعدُّدِ أنواعِ مكرِهم الَّتي بيَّتوها[3]، وأنَّهم قد قصدوا إلحاقَ أنواعِ العذابِ بمَن خالفَهم[4]، وفي ذلكَ تنبيهٌ على شدَّةِ حِقْدِهم وعنادِهم للحقِّ، وأفرد المكر مع جمع السَّيِّئات؛ لأنَّ المراد جنس المكر، أو للدَّلالة على أنَّ لمكرهم الواحد شدائد كبيرة[5].

دلالةُ التَّعبير بـ ﴿مَا﴾:

احتمالُ المصدريَّةِ والموصوليَّةِ

آثرَ القرآنُ التَّعبيرَ بـ ﴿مَا﴾ في قولِ الحقِّ جلَّ ذكرُهُ: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾ دون غيرها لتعدُّد معناها، فيجوز أن تكون مصدريَّةً، والمعنى: فوقاهُ اللّهُ سيِّئاتِ مكرِهم[6]، ويحتملُ أن تكونَ موصولةً بمعنى الَّذي، أي: فوقاهُ اللّهُ سيِّئاتِ الَّذي مكروهُ[7].

---

(1) السمين، عمدة الحفاظ: (سوء).
(2) السمين، عمدة الحفاظ: (سوء).
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 278، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 157.
(4) الزمخشري، الكشاف: 4/ 170.
(5) القونوي، حاشية القونوي: 17/ 72.
(6) الزمخشري، الكشاف: 4/ 170، والخفاجي، عناية القاضي: 7/ 347.
(7) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 8/ 493.

وفي هذين المعنيين دلالةٌ على عظيم مكرهم، وأنَّه كان ملازمًا لأفعالهم وطباعهم.

غرضُ الإضافةِ في ﴿سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ﴾:

الإضافةُ في قولِهِ تعالى: ﴿سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ﴾ بيانيَّةٌ، وهي هنا في قوَّةِ إضافةِ الصِّفةِ إلى الموصوفِ؛ لأنَّ المكرَ سيِّئٌ[1]، وذِكرُ السوء مضافًا إلى المكر - مع أنَّ المكر لا يكون إلّا سيِّئًا - لتأكيد فظيع مكرهم، وشناعة كيدهم بالرَّجل المؤمن.

فعلُ الكافرينَ في مقابلة الإيمان سوءٌ وشناعةٌ

نكتةُ صيغةِ الماضي في ﴿مَكَرُواْ﴾:

جيءَ بصيغةِ الماضي في قولِهِ تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ﴾؛ للتَّنبيهِ على أنَّ مكرَهم قد مضَى، وتحقَّقَ قبلَ أن يُنجيَ اللّهُ تعالى المؤمنَ منهُم، فإنجاؤُهُ كانَ مِن خَطَرٍ داهمٍ مُحقَّقٍ.

إنجاءُ المؤمنِ مِن خَطَرٍ مُحقَّقٍ

بلاغةُ اللَّفِّ والنَّشْرِ:

قولُهُ تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ﴾ راجعٌ إلى قولِهِ: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾، وقولُهُ: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾ راجعٌ إلى قولِهِ: ﴿فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ﴾، وقد قُدِّمَ ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ الرّاجعُ إلى المتأخِّرِ - وهو ﴿وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ - على طريقةِ اللَّفِّ والنَّشْرِ غيرِ المُرتَّبِ؛ لأنَّ الأهمَّ هو الإخبارُ بوقايةِ اللّهِ لهُ مِن سوءِ مكرِهم، وليتفرَّغَ الكلامُ للحديثِ عن تفاصيلِ ما حاقَ بآلِ فرعونَ؛ لأنَّ كلَّ ما سيأتي بعدَ ذلكَ هو تفصيلٌ لجملةِ: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾[2].

الإخبارُ بوقايةِ اللهِ أهمُّ وأجدرُ بالتَّقديمِ

دلالةُ الواوِ في قوله: ﴿وَحَاقَ﴾:

الظّاهرُ أنَّ الواوَ في قولِهِ تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾ لعطفِ هذهِ الجملةِ على جملةِ: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ﴾، وفي

لا يحيقُ المكرُ السَّيِّئُ إلّا بأهلِهِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 157.

(2) محمد أبو موسى، آل حم، ص: 167.

هذا العطفِ إيماءٌ إلى أنَّ المكرَ السَّيِّئَ لا يحيقُ إلّا بأهلِهِ[1]؛ إذ ذُكِرَ نزولُ العذابِ بالماكرينَ بعدَ ذِكرِ إنجاءِ المكورِ بهِ.

سرُّ التَّعبير بـ(حاق) دون نزل:

الفعل (حاق) أنسبُ بمقامِ نزولِ المكروهِ

أوثِرَ التَّعبيرُ بالفعل (حاق) في قوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ دون (نزل)؛ لوجود فرق بينهما، فالنُّزولُ عامٌّ في كلِّ شيءٍ، يقالُ: نزلَ بالمكانِ، ونزلَ بهِ الضَّيفُ، ونزلَ بهِ المكروهُ، ولا يقال حاق إلّا في نزول المكروه[2]، والحوق يدلُّ على الإحاطة بالشَّيء، فلمّا كان المقام في ما حلَّ بآل فرعون من العذاب؛ عُبِّرَ بالحَوْقِ؛ لدلالتِهِ على إحاطةِ العذابِ بهِم مِن جميعِ الجوانبِ، وأنَّهم مواقِعوهُ لا محالةَ.

فالتَّعبير بالفعل (حاق) يجوز حمْلُه على المعنيين: نزولِ العذاب بهم، وهو الغرق في الدُّنيا، وإحاطته بهم في الآخرة.

نكتةُ التَّعبيرِ بالماضي في ﴿وَحَاقَ﴾:

الكفرةُ بينَ العذابِ العاجلِ والعذابِ الآجلِ

أوثِرَ التَّعبيرُ بالفعل الماضي (حاق) في قولِهِ تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ دون المضارع؛ لأنَّ الفعلَ يدلُّ على أمرين في تفسير سوء العذاب؛ فمنه ما حاقَ بهِم، كالإغراقِ وعرضِهم على النّارِ، ومنهُ ما لم يَحِقّ بهِم بعدُ، كدخولِهم النّارَ المُرجَأِ إلى يومِ القيامةِ، فيكون بعضُ معنى الفعلِ على الحقيقةِ، وبعضُهُ على أساسِ أنَّ ما هو للوقوعِ كالواقعِ[3].

دلالةُ الباءِ في ﴿بِـَٔالِ﴾:

لا انفكاكَ للكافرينَ عن العذابِ

الباءُ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ للتَّعديةِ، أو للإلصاقِ، فتفيدُ أنَّ نزولَ سوءِ العذابِ بهِم قد اقترنَ بالإحاطةِ مِن جميعِ الجوانبِ، حتَّى كأنَّهُ التصقَ بهِم، فلا انفكاكَ لهُم عنهُ.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 80.
(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 304، وابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 562.
(3) محمد أبو موسى، آل حم، ص: 173.

نكتةُ التَّعبيرِ بالآلِ دونَ الأهلِ:

كـلُّ مَـنِ اتَّبـع الظّالمين فهو في حكمهم

عُبِّرَ بالآلِ دونَ الأهلِ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾؛ لأنَّ (آل) لا تُطلق إلّا على الأتباع كلِّهم مع إيمانهم بالمتبوع واتِّباع منهجه وسيرته؛ فإذا كان المتبوع من الكفرة؛ كان المرادُ من الآل كلَّ أتباعه الموالين له، وهذا هو المراد في قوله: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ﴾؛ حيث يُعنى بهم كلُّ مَن اتَّبعه؛ لذا عُبِّر بالآل[1].

سرُّ الاقتصارِ على ذِكرِ آلِ فرعونَ دون ذكرِهِ:

قائدُ الضّالّينَ أولى بالعذابِ

اقتُصِرَ على آلِ فرعونَ في قولِهِ تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾، ولم يُذكَر فرعونُ؛ استغناءً بذكرِهم عن ذكرِهِ؛ للعلم بأنَّهُ أولى بذلكَ بدلالةِ النَّصِّ[2]؛ لأنَّهُ المُضِلُّ لهُم[3]، ولأنَّ العادةَ قد جرَتْ أنَّهُ لا يوصَلُ إلى جميعِ أتباعِ الإنسانِ إلّا بعدَ إذلالِهِ وأخْذِهِ[4]، وفي هذا بيانٌ لخطرِ التَّبعيَّةِ الَّتي تتعصَّبُ فيها العقولُ والقلوبُ، ولبيانِ أنَّ مَنِ استجابَ الدَّعوةَ الباطلةَ يصيرُ لا فرقَ بينَهُ وبينَ مَن دعا إلى باطلٍ، والعذابُ جامعٌ وشاملٌ للجميعِ، ولا فرقَ بينَ فرعونَ ومَن دخلَ في دينِ فرعونَ[5].

بلاغةُ الإضافةِ في ﴿بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ﴾:

التَّبعيَّةُ فقْدٌ للهويَّةِ

في إضافةِ الآلِ إلى فرعونَ في قولِهِ تعالى ذكرُهُ: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ تنبيهٌ على أنَّهم فقدوا ذواتَهم الَّتي بها يستقلّونَ، ولذلكَ جُعِلوا جميعًا آلَ فرعونَ، ونُسِبوا إليهِ، ولم يُنسَبوا إلى آبائِهم، كما يقالُ: آلُ فلانٍ الَّذي هو جدُّهم، وإنَّما نُسِبوا هنا إلى فرعونَ؛ لأنَّهم اتَّبعوهُ، والتزموا أوامره، واعتقدوا صِدقه، فصار مصيرهم في العذاب كمصيره.

---

(1) عبدالجبار فتحي، الفروق اللغوية في القرآن، ص: 9.
(2) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 72.
(3) أطفيش، تفسير أطفيش: 9/ 251.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 80.
(5) محمد أبو موسى، آل حم، ص: 168، 171.

دلالة تقديم ﴿بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ﴾ على الفاعلِ:

تعجيلُ مسرَّة المؤمنين بنزول العذاب بالكافرين

قُدِّمَ الجارُّ والمجرورُ ﴿بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ﴾ على الفاعلِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾؛ للاهتمامِ بكونِ نزولِ العذابِ مُتعلِّقًا بآلِ فرعونَ، ولتعجيلِ المَسَرَّةِ بنزولِ العذابِ بهِم، ولِما في تأخيرِ ﴿سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾ مِنِ اتِّصالِ المُبيَّنِ - وهو سوءُ العذابِ - ببيانِهِ - وهو النّارُ - على بعضِ الأقوالِ.

بلاغةُ الإضافةِ في ﴿سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾:

عذابُ آلِ فرعونَ عذابٌ شديدٌ

الإضافةُ في قولِهِ تعالى: ﴿سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾ بمعنى اللّامِ، أي: السّوءُ الَّذي هو العذابُ؛ لأنَّ السّوءَ يكونُ عذابًا وغيرَ عذابٍ، أو بيانيَّة، أي: سوءٌ هو العذابُ، أو إضافةُ صفةٍ لموصوفٍ، أي: العذابُ السّوءُ[1].

سرُّ التَّعبيرِ بسوءِ العذابِ عن الإغراقِ:

جُمِعَ لفرعونَ وآلِه من العذابِ أسوؤه وأشدُّه

أوثرَ التَّعبيرُ بسوءِ العذابِ عن الإغراقِ؛ لأنَّه مضمَّنٌ فيه باعتبارِه أنَّه أوَّلُ ما حاقَ بآلِ فرعونَ من العذابِ؛ أو لأنَّ الغريقَ يُعذَّبُ باحتباسِ النَّفَسِ مدَّةً، وهو يطفو على الماءِ، ويغوصُ فيه، ويرعبه هولُ الأمواجِ، وهو موقنٌ بالهلاكِ، ثم يكونُ عرضةً لأكلِ الحيتانِ حيًّا وميِّتًا، وذلك ألمٌ في الحياةِ، وخزيٌ بعدَ المماتِ، يُذكرُ به بينَ النّاسِ[2].

سرُّ التَّعبيرِ بالعذابِ ونكتةُ تعريفِه:

المعذَّبونَ منقطعونَ عن كلِّ لذَّةٍ

عُبِّرَ بالعذابِ في قولِهِ تعالى: ﴿سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾؛ لِما فيهِ مِنَ الدَّلالةِ على العقوبةِ المانعةِ مِن كلِّ مُستعذَبٍ[3]، وفي ذلكَ ما لا يخفَى مِن تهويلِ ما أصابَهم، وتعريفه للعهدِ؛ لأنَّه مشهورٌ ومعلومٌ على أنَّ المرادَ به الغرقُ، أو عذابُ الدُّنيا بالغرقِ والآخرةِ بالنّارِ.

(1) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 325، وأطفيش، تفسير أطفيش: 9/ 251.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 158.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 81.

سرُّ فصل قوله: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا﴾:

النّارُ هي سوءُ العذابِ

فُصِلت جملة: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ﴾ عمّا قبلها؛ لأنَّها جملة استئنافيَّة، كأنَّ قائلًا قالَ: ما سوءُ العذابِ؟ فقيلَ: هو النّارُ، أو لأنَّها بدلٌ من الجملة قبلها[1]، فالفصلُ لشِبْهِ كمالِ الاتِّصالِ، وفي هذا تعظيمٌ للنّارِ وتهويلٌ مِن عذابِها[2].

نكتةُ تعريفِ ﴿ٱلنَّارُ﴾:

نارُ الآخرةِ مآلُ آلِ فرعونَ

تعريفُ ﴿ٱلنَّارُ﴾ في قولِهِ تعالى شأنُهُ: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ﴾ للعهدِ؛ إذ المرادُ بها نارٌ مخصوصةٌ، وهي نارُ الآخرةِ.

وفي هذا إشارة إلى توبيخ آل فرعون على جرائمهم في تعذيب أهل الإيمان، بأنَّ ما ينتظرهم هو العذاب الأليم الذي لا يملك فرعون ولا آله منْعَهم منه.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالعرضِ:

الكلامُ استعارةٌ بالكنايةِ أو تمثيليَّةٌ

العرضُ في قولِهِ تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا﴾ استعارةٌ بالكنايةِ، شُبِّهَتِ النّارُ بعاقلٍ يُعرَضُ عليه الشَّيءُ، فيقبلُهُ، أو يردُّهُ، فرُمِزَ لذلكَ التَّشبيهِ بالعرضِ، وهو استعارةٌ تخييليَّةٌ، أو الكلامُ استعارةٌ تمثيليَّةٌ، كقولِهم: عرضَ الإمامُ الأسرى على السَّيفِ؛ إذا قتلَهم بهِ، والمرادُ إحراقُهم بها[3]، أو من تشبيه حالِهم بحالِ متاعٍ يُبْرَزُ لمَن يريدُ أخْذَهُ، وفي ذلكَ جعْلُ النّارِ كالطّالبِ الرّاغبِ فيهِم؛ لشدَّةِ استحقاقِهم الهلاكَ[4]، وذهب ابن عاشور إلى أنَّ التَّعبير جاء على مقتضى الظّاهر؛ إذ استعمل العرض في معنى الإمرار، كما يقال: عُرِض الجيش على أميره، واستعرضه الأمير، ومعنى عَرْضِهم على النّار

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 158.
(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 170.
(3) أطفيش، تفسير أطفيش: 9/ 252، ومحمد أبو موسى، آل حم، ص: 169.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 326.

أنَّ أرواحهم تشاهد المواضع التي أُعِدَّت لهم في جهنَّم، وهذا ما بيَّنه الحديث: "إنَّ أحدكم إذا مات؛ عُرِض عليه مقعدُهُ بالغداة والعشيِّ، إن كان من أهل الجنَّة؛ فمن أهل الجنَّة، وإن كان من أهل النّار؛ فمِن أهل النّار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك اللّه يوم القيامة"[1].

بلاغةُ صيغةِ المضارعِ في ﴿يُعْرَضُونَ﴾:

استمرارُ العرضِ على النّارِ وتجدُّدُهُ

عُبِّرَ بصيغةِ المضارعِ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾؛ للدَّلالةِ على استمرارِ العرضِ وتجدُّدِهِ، والجمهورُ على أنَّ هذا العرضَ يكونُ في البرزخِ[2]، وهو عرضٌ لأرواحِهم[3].

نكتةُ بناءِ ﴿يُعْرَضُونَ﴾ للمفعولِ:

جيءَ بصيغةِ المبنيِّ للمفعولِ في قولِهِ تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾؛ للعلمِ بالفاعلِ، وهو اللّهُ تعالى أو الملائكةُ الموكَّلونَ بذلكَ، ولبيان أنَّ المقصود فعلُ العرض.

بلاغةُ ذكرِ الغُدوِّ والعَشيِّ:

دوامُ عرضِهم على النّارِ إلى قيام السّاعة

خصَّ القرآن الكريم ذِكْرَ هذين الوقتين ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾؛ لأنَّهما كنايةٌ عن الدَّوام؛ لأنَّ الزَّمانَ لا يخلو عن هذينِ الوقتينِ ما دامَتِ الدُّنيا، فإذا قامَتِ السّاعةُ؛ أُدخِلوا أشدَّ العذابِ[4].

ويجوزُ أن يكونَ ذِكرُ الغُدوِّ والعَشيِّ في قولِهِ تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾؛ لبيانِ أنَّهم في هذينِ الوقتينِ يُعذَّبونَ بالنّارِ، وفيما بينَ ذلكَ اللّهُ أعلمُ بحالِهم، فإمّا أنْ يُعذَّبوا بجنسٍ آخرَ مِنَ العذابِ، أو يُنفَّسَ عنهُم.

(1) وابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 159.
(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 15/ 318.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 326.
(4) الزمخشري، الكشاف: 4/ 170، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 59، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 159.

نكتةُ تنكيرِ الغُدوِّ والعَشيِّ:

تنكيرُ ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ في قولِه تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ للعمومِ بمعونةِ المقامِ، أي: في كلِّ غُدوٍّ وعَشيٍّ مِن أيّامِ الدُّنيا يُعرَضُ آلُ فرعونَ على النّارِ[1].

غرضُ تقديمِ الغُدوِّ على العَشيِّ:

قُدِّمَ الغُدوُّ على العَشيِّ في قولِه جلَّ مِن قائل: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾؛ مراعاةً للأسبقِ في الزَّمنِ؛ إذ الغُدوُّ يكونُ قبلَ العَشيِّ.

بلاغةُ الطِّباقِ بينَ الغُدوِّ والعَشيِّ:

العرضُ محيطٌ مستغرقٌ وقتَ آلِ فرعونَ

في الجمعِ بينَ الغُدوِّ والعَشيِّ في قولِه تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ رِعايةٌ لمُحسِّنٍ معنويٍّ، وهو الطِّباقُ، فيُصوِّرُ الكلامُ وقتينِ مختلفينِ يُعرَضُ فيهما آلُ فرعونَ على النّارِ، ويشيرانِ إلى أنَّ العرضَ محيطٌ بأوَّلِ وقتِهم وآخرِه.

سرُّ التَّعبيرِ بالواوِ في ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾:

جمَعَ آلُ فرعونَ بينَ العذابِ الدُّنيويِّ والأُخروي

أوثرَ التَّعبيرُ بالواوِ في قولِه تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ دون غيرِها؛ لاحتمالِ أن تكونَ عاطفةً لقولِه: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ على الظَّرفينِ قبلَهُ ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾، فيكونَ معمولًا لـ ﴿يُعۡرَضُونَ﴾، فالوقفُ على هذا على قولِه: ﴿ٱلسَّاعَةُ﴾، و﴿أَدۡخِلُوٓاْ﴾ معمولٌ لقولٍ مُضمَرٍ، أي: يقالُ لهُم: كذا وكذا[2]، ففي العطفِ جمعٌ لآلِ فرعونَ بينَ عذابٍ دنيويٍّ وبينَ عذابٍ أُخرويٍّ.

ويجوزُ أن تكونَ الواوُ استئنافيَّةً، ويكونَ الظَّرفُ (يوم) معمولًا لقولٍ مُضمَرٍ محكيٍّ بهِ الجملةُ الأمريَّةُ، والتَّقديرُ: ويقالُ لهُ يومَ تقومُ السّاعةُ: أدخِلوا، ويجوزُ أن يكونَ منصوبًا بـ ﴿أَدۡخِلُوٓاْ﴾، أي: أدخِلوا يومَ تقومُ، وعلى هذينِ الوجهينِ فالوقفُ تامٌّ على قولِه: ﴿وَعَشِيًّا﴾.

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 562.

(2) السمين، الدر المصون: 9/ 485.

نكتةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ في ﴿تَقُومُ﴾:

قيامُ السّاعةِ هولٌ عظيمٌ في حدثٍ مستقبليٍّ

عُبِّرَ بصيغةِ المضارعِ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾؛ لأنَّ قيامَ السّاعةِ أمرٌ يكونُ في المستقبلِ، وصيغةُ المضارعِ تدلُّ على ذلكَ بمعونةِ المقامِ، وفي التَّعبيرِ بالمضارعِ دعوةٌ لاستحضارِ صورةِ هولِ قيامِ السّاعةِ.

سرُّ التَّعبيرِ بالسّاعةِ دونَ غيرِها من أسماءِ يومِ القيامةِ:

ملاءمةُ السّاعةِ لتحديدِ وقتِ بدايةِ العذابِ الأُخرويِّ

عُبِّرَ عن القيامةِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ بقيامِ السّاعةِ - مع أنَّ للقيامةِ أسماءً كثيرةً، كالطّامَّةِ، والصّاخَّةِ، والحاقَّةِ، والقارعةِ، وكلُّها أسماءٌ أشدُّ تخويفًا مِن قيامِ السّاعةِ - لأنَّ المرادَ تحديدُ الوقتِ الَّذي يُنقَلُ فيهِ آلُ فرعونَ مِن حالةٍ يُعرَضونَ فيها على النّارِ إلى حالةِ دخولِهم أشدَّ العذابِ، فناسبَ ذِكرُ السّاعةِ الَّتي هي نصٌّ في تحديدِ الوقتِ[1].

سرُّ العدولِ عن المضارعِ إلى الأمرِ:

شدَّةُ غضبِ الجبّارِ على آلِ فرعونَ

قيلَ: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾، ولم يقل: (يدخلُ آلُ فرعونَ)، كما قيلَ: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾، وإنَّما عُدِلَ إلى فعلِ الأمرِ الصّادرِ مِنَ اللّهِ تعالى؛ للدَّلالةِ على مزيدِ الغضبِ، ويُقوّي هذهِ الدَّلالةَ قولُهُ سبحانَهُ: ﴿أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾[2].

سرُّ التَّعبيرِ بالأشَدّيَّةِ:

انتقالُ الكفرةِ مِن شاقٍّ إلى أشَقَّ

عُبِّرَ بالأشدّيَّةِ في قولِهِ تعالى: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾؛ لأنَّ عذابَ جهنَّمَ أشدُّ ممّا كانوا فيهِ في الدُّنيا والبرزخِ، أو المرادُ أنَّهم يُدخَلونَ أشدَّ عذابِ جهنَّمَ؛ فإنَّ عذابَها ألوانٌ بعضُها أشدُّ مِن بعضٍ[3]، وأيًّا ما كانَ؛ ففي الكلامِ تنبيهٌ على أنَّهم ينتقلونَ مِن شاقٍّ إلى أشقَّ منهُ.

(1) أبو موسى، آل حم، ص: 170.
(2) أبو موسى، آل حم، ص: 172.
(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 59، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 279.

نكتةُ تعريفِ العذابِ:

تعريفُ العذابِ في قولِهِ تعالى: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ للعهدِ[1]؛ إذ المرادُ بهِ العذابُ الَّذي يكونُ في الآخرةِ.

دلالة جملة: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾:

استدلَّ البعض بهذه الآية على عذاب القبر؛ لأنَّ هذا العرض ليس في الدُّنيا، وليس في القيامة، وإنَّما هو في القبر، وهو عذاب - لا محالة - ويؤكِّد هذا قوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ﴾، فإنَّه يدلُّ على أنَّ العرض المذكور في قوله: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ إنَّما هو في حياة البرزخ[2].

❁ الفُروقُ المُعجَميَّةُ:

المكرُ والكيدُ:

التَّآمرُ في السِّرِّ عادةُ المجرمينَ

المَكْرُ مِثلُ الكَيْدِ في أنَّهُ لا يكونُ إلّا معَ تدبُّرٍ وفِكْرٍ، إلا أنَّ الكَيْدَ أقوى مِنَ المَكْرِ؛ لأنَّهُ يتعدَّى بنفسِهِ، والمَكْرَ يتعدَّى بحرفٍ، فيقالُ: كادَهُ يَكيدُهُ، ومَكَرَ بهِ، ولا يقالُ: مَكَرَهُ، والَّذي يتعدَّى بنفسِهِ أقوى، والمَكْرُ إلحاقُ الضَّرَرِ بالغيرِ دونَ إعلامٍ لهُ بهِ، والكَيْدُ إيقاعُ المكروهِ بالغيرِ سواءٌ عَلِمَ أو لا[3]، وقد عُبِّرَ بالمكرِ هنا؛ لأنَّ آلَ فرعونَ كانوا يريدونَ إيقاعَ الأذى بالمؤمنِ دونَ أن يشعرَ[4].

(1) الخفاجي، عناية القاضي: 7/ 374.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 522.
(3) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 508.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 157.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والخمسون،
سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والخمسون، سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 51 ، 822 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-642-97-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 51 : المجلد الحادي والخمسون، سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-642-97-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4644027 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»